

تحليل وتقييم ثورة النوميدي (112-105 ق.م)

Analysis and evaluation of the Numidians revolution (112-105 BC)

عبد النور العمري*

جامعة يحي فارس بالمدينة - الجزائر

proflamri213@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/11/14 تاريخ القبول: 2023/03/26

الملخص:

تهدف الدراسة إلى تحديد معالم الدور الذي أدته الثورة النوميديّة في إعطاء بعد محلي وإقليمي للجزائر خاصة (نوميديا) وبلاد المغرب عامة، للوصول إلى بعض الحقائق لفهم محطات تاريخية غامضة من فترة الحراك الثوري النوميدي، وكذلك دراسة متجددة لإستراتيجيات حربية أصبحت في طيّ النسيان، مع توضيح غموض تلك الأحداث عن طريق تحليلها واستخلاص نتائجها مع تقييمها في النهاية حتى تظهر الأحداث للقارئ بشكل أكثر بساطة. والثورة هذه تعتبر تجربة للوحدة لم يكتب لها النجاح رغم أنها كانت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق أهدافها. وخلال الدراسة استعملت المنهج التحليلي في تحليل وقائع واستنتاج نتائج وفق مقارنة للأحداث والظروف المحيطة بها.

كلمات مفتاحية: نوميديا، يوغرطة، الرومان، الثورة النوميديّة، الحرب، إستراتيجية.

Abstract:

The study aims to identify the features of the role played by the Numidian revolution in giving a local and regional dimension to Algeria in particular (Numidia) and the Maghreb in general, to reach some facts to understand the mysterious historical stations of the period of the Numidian revolutionary movement, as well as a renewed study of the military strategies that became forgotten, while clarifying the secret of those events by analyzing them and drawing conclusions with the evaluation at the end so that the events appear to the reader more simply. And this revolution is considered an unsuccessful experience, even though it was close to achieving its goals. During the study, I used The analytical method in analyzing facts and drawing conclusions according to an approach to the events and the surrounding circumstances about it.

Key words: Numidia, Yughortha, the Romans, Numidian revolution, The war, strategy.

ظل الأمل في إنشاء تكامل فعال يضمن ويحقق طموحات الشعب النوميدي ضرورة ملحة ضد أهداف الامبريالية الاستعمارية المعيقة لذلك، وأصبح معروفاً أن هناك محاولات لانجاز اتحاد نوميدي قامت به شخصيات وطنية نوميديّة في فترات مختلفة من التاريخ المحلي المستمر، ليكون كمنصة انطلاق نحو تكامل حقيقي أساسه التجمعات القبلية والغاية منه تحقيق تطلعات ساكنة بلاد النوميدي الكبرى. ومن المعروف التجربة التكاملية النوميديّة تعثرت محاولاتها كثيراً بعد الوحدة الماسينيسية، وتجلّى هذا التعثر في عدد من المظاهر كان أهمها ظروف سياسية ومتغيرات عسكرية، وقبلية.

ويأتي بحثنا هذا كمحاولة في تحليل حادثة تاريخية استمرت لسبع سنوات تمثلت في ثورة النوميديين بقيادة يوغرطة الذي هدف من خلالها إلى عملية تكامل واتحاد بين القبائل النوميديّة وبمشاركة بعض القبائل الموريطانية ضد طموحات الرومان مع نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، توحدت خلالها القبائل تحت قيادة واحدة. والإشكالية التي حددت خطوات البحث تمثلت فيما إذا كانت تلك الثورة غاية في حد ذاتها ونتاج سلوك فطري لدى أبنائها أم أنها انبثقت من واقع فرضته الهيمنة الأجنبية، فكانت وسيلة لبلوغ أهداف محددة؟ وهل تعتبر (الثورة) أيضاً أولى مشاريع الوحدة المغاربية القائمة على أسس وحدة الجغرافيا والعرق واللغة والثقافة المحلية ذات الهوية الواحدة؟. وكيف يمكن تحليل فشلها بموضوعية وما هي الدروس المستخلصة منها من خلال التقييم للنتائج العام لمجريات الثورة؟.

2. شخصية يوغرطة¹ الذاتية والعسكرية:

1.2 شخصية يوغرطة الذاتية: ولد خلال سنة 160 ق.م، والده مسطنبعل ابن ماسينيسا، كان قاضياً متوسط الحال من قبائل الموزولامي جنوب نوميديا، وبعد وفاته كفل يوغرطة عمه مسيسا وجعله في مكانة ابنه، فوجد ضالته في ابن أخيه قبل أن يرزق بولدين فيما بعد وهما اذربعل وهمصال وريثا العرش فيما بعد رفقة ابن عمهما يوغرطة. من صفات² يوغرطة انه كان جميلاً وذو بنية جسمية سليمة وقوية، متواضعا ميالا إلى حب الفروسية ورمي الحراب والرماح، والعدو والمبارزة، والصيد.

اكتملت تدريباته العسكرية في شبابه وأصبح فارساً جيداً، لذلك أرسله الملك مسيسا سنة 134 ق.م لمساعدة حلفائه الرومان ضد القبائل الاسبانية. في حرب قادها الروماني سيبون الايميلي. وصلت المساعدات العسكرية النوميديّة اسبانيا بقيادة يوغرطة الشاب كمحارب ذو قدرات قتالية بارعة في حروب العصابات³ على رأس جيش من كتائب الفرسان وحاملي المقاليع واثنى عشر فيلا حربياً. واعتبر يوغرطة مبعوثاً خاصاً للملك النوميدي المتحالف مع روما ضد الأخطار المشتركة ومنها حرب اسبانيا⁴ هاته.

1 يوغرطة: أصول لفظه ليبية قديمة من كلمة yugur-t-en وفي اللاتينية يحرف اللفظ قليلاً إلى يوغرثة ويوغرطة على حسب نقشين لاتينيين (Iugurtha : CILVIII, 2409) و (Iugurta : CILVIII, 14175)، أما معانيه فيفترض معاني فاقهم وتجاوزهم، وغزاهم وحاربهم ...

Salluste, guerre de Jugurtha, trad. M. Moncourt, éd. Dezoby, Magdeleine et Cie, Paris, 1856, V. VI.

Velleius Paterculus, Histoire romaine, trad., J. Hellegouarc'h, Belles-Lettres, Paris, 1982, II, IX, 3-4.

Salluste, op cit, VII.1.

هناك من يرى أن اختيار الملك ميسيسا "يوغرطة" لقيادة الوحدات النوميديّة المساعدة باسبانيا هي دفعه لمعارك خطيرة والزج به فيها¹ وهو في ريعان شبابه لم تكن له تجربة قيادية لجيش قتالي مباشر في المعارك، وهذا تمهيدا بعد وفاة يوغرطة طبعاً- ليصبح من السهل على ميسيسا -الذي تجاوز الثمانون عاماً- اختيار ولديه صغاري السن لخلافته في العرش الملكي.

1.2- الشخصية العسكرية ليوغرطة الشاب:

كان ارتقاء يوغرطة لمصاف القادة العسكريين الكبار والأكفاء بانتصاره في حرب نومانتي Numantia باسبانيا سنة 133 ق.م وعودته بطلا مقاتلا وقائدا عسكريا محنكا إلى وطنه نوميديا. خلال تلك الحرب اثبت يوغرطة مقدراته الكبيرة على قيادة الوحدات وتنظيم المعارك وكسب ولاء الجند، مما ترك انطبعا حسنا لدى الجنود الرومان، وإعجابا كبيرا من القائد الروماني سيبون ببسالته في فنون قتال سلك الفرسان واستعمال الفيلة كدروع في عز التحام الجيوش، هذه الخصال منحته شكرا وتقديرا واحتراما² من الرومان.

وتكريما له قام سيبون مع إعلان نهاية الحرب الاسبانية بشكره وتكريمه أمام الجيش الذي شارك في المعركة من جند روماني ونوميدي، وودعه بحفاوة مع تسليمه رسالة توصية خاصة إلى الملك ميسيسا يمجّد³ فيها أعمال يوغرطة العسكرية وبطولاته خلال المعارك ويوصيه به خيرا باعتباره بطلا نوميديا وحليفا عسكريا قويا وشجاعا ساعد روما في حربها ضد الأعداء، وبالتالي وجب التعامل مع يوغرطة مستقبلا على هذا الأساس، وهي الوصية التي تفهمها جيدا ميسيسا مع مستقبل⁴ يوغرطة ومنها أصبحت مخاوفه تتزايد من يوغرطة مع صائفة 133 ق.م. وأدرك أن يوغرطة أصبح في موقع قوة⁵ مع حلفائه الرومان أو من الجنود النوميدي الذين رأوه بطلا جديرا بالقيادة،⁶ فزاد لينه وحنانه الأبوي المصطنع لاستمالة يوغرطة كابن له مع ابنه، وظل كذلك حتى سنة 120 ق.م عندها تبنى ميسيسا يوغرطة رسميا وإعطائه لقب الأمير مع ابنه الشرعيين، فاستبشر النوميديون به خيرا وتوسموا فيه صفة القائد الحامي لمملكتهم والأمير الأفضل للدفاع عنهم وهويتهم ضد أي خطر، خاصة وإن الملك ميسيسا أصبح مسنا لا يقدر على تسيير شؤون مملكة مترامية الأطراف.

إضافة إلى أن ابني الملك الشرعيين لا تظهر عليهما القيادة وحسن التسيير والتدبير والمسؤولية، مقابل يوغرطة البطل القومي والقائد الشجاع في نظر جموع القبائل النوميديّة، وحتى الملك ميسيسا نفسه رأى ذلك فيه رغم تحفظه عليه عطفاً على ابنه وخوفاً على

Saumagne Ch, La Numidie et Rome. Massinissa et Jugurtha, Essai, P U F, paris, 1966, p. 12-14.

1

Salluste, op cit, VI.1; VII.1.

2

Ibid., .IX.2 .

3

Saumagne Ch, op cit, p 105 ; Decret F et Fantar M, L'Afrique du Nord dans l'Antiquité, éd. Payot, Paris, 1981, p 121.

4

Salluste, op cit, VI; VII.

5

6 من طرق الوصول إلى مركز القيادة وجود صفات شخصية لدى الأفراد مثل الذكاء والفطنة والقدرة على التأثير والإقناع والميل إلى السيطرة والمغامرة والجاذبية الشخصية في الوقت الذي تكون فيه الظروف البيئية مهينة لمثل هؤلاء الأفراد في تزعم أو سيادة الجماعة، ويستمد هنا القائد قوته من خصائصه الشخصية وقدراته على التأثير.. سامي محسن الختاتنة، علم النفس العسكري، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2016، ط1، ص 63-64.

ملكه بعد وفاته. وعندما أحس الملك بدنو اجله جمع العائلة المالكة بحضور ابنيه الشرعيين وابنه بالكفالة يوغرطة وتلا على الجميع وصيته¹ والموجهة أولاً إلى يوغرطة. بعدها بمدة توفي الملك مسيبسا.

3. الأزمة السياسية (أسبابها، خلفياتها، أبعادها..):

ظهرت أزمة سياسية حادة ومعقدة بعد وفاة الملك مسيبسا سنة 118 ق.م، واجتماع ورثته الثلاثة (يوغرطة، اذربعل وهيمصال) بمدينة دوقة النوميديّة، للتفاوض حول تقسيم المهام الجديدة بينهم بعيدا عن العاصمة السياسية "قرطا" درءا لقلقل محتملة بعد الاجتماع يتلقفها العامة وغوغاء السياسة فتظهر فتنة في انقسام المجتمع النوميدي بين مؤيد ومعارض للمتفاوضين. وتصدر جلسة التفاوض يوغرطة باعتباره أكبرهم سنا وتجربة، وعلى يمينه اذربعل وعلى يساره هيمصال، أصغرهم سنا وقليل الخبرة السياسية والعسكرية، ومع افتتاح الجلسة² تسرع أصغرهم هيمصال وتهجم بالكلام الجارح على يوغرطة وشتمه ونكر عليه أحقيته في اقتسام السلطة الملكية لأنه ليس ابنا شرعيا لخلافة الملك مسيبسا، ووصل الأمر بهمصال لإثارة حفيظة وحكمة يوغرطة في الاجتماع أن طعنه في شرفه، حينها ثارت حفيظة يوغرطة، وأوقف المفاوضات، وانفض اجتماعهم دون نتيجة أو اتفاق.³

بعد نهاية الاجتماع دون اتفاق ظهرت مشكلة أحقية ولاية العرش الملكي للخاصة والعامة وبدأت الإشاعات والأقويل. فانقسم المجتمع النوميدي بين المتنازعين، حينها أدرك يوغرطة بخبرته وتجربته العسكرية أن المملكة مهددة بالضعف والانحيار، أمام قوة استعمارية مجاورة على الحدود تعلم الصغيرة والكبيرة عن مآلات الخصومة في البيت النوميدي، كما أن وصية مسيبسا كانت تدعو بدرجة أولى إلى الحفاظ على السلطة والمملكة من الانقسام والتفريط، ثم التفاهم والتآخي والحفاظ هيبة الدولة. لكن أحد الأبناء تمرّد عن وصية أبيه وعرض المملكة إلى الأخطار، حينها قرر يوغرطة تنفيذ مشروع الحفاظ على الوحدة الجغرافية للمملكة مهما كلف ذلك من دماء أو التضحية بأفراد مقربين منه حفاظا على الوحدة ومن اجل المصلحة العليا للشعب النوميدي والوحدة الجغرافية للمملكة.

اختلاف في ميولات وشخصيات هؤلاء على ما يصفهم سالوستيوس⁴ وراء نشوب الخلاف بمجرد العودة من مراسم الجنازة، إذ اجتمع الأمراء الثلاثة للنظر في شؤون المملكة، لكن خلافا نشب بينهم، ولم يتمكنوا من التوصل إلى حل، غير التقسيم، فاتفقوا على تقسيم المملكة والأموال، وهو ما كان يخالف رغبة يوغرطة الذي أرسل من يغتال هيمصال سنة (118 ق.م).

1.3 الانقلاب على اتفاقية التقسيم الإقليمي والرجوع إلى شرعية الوحدة الترابية:

Salluste, op cit, X.

1

2 بعد أن ناقشوا في هذا الاجتماع أمورا... اقترح يوغرطة إلغاء جميع القرارات والأوامر التي أصدرها مسيبسا خلال السنوات الخمس الأخيرة لأنه كان فاقدًا عقله بسبب تقدمه في السن، أجاب هيمصال على ذلك بالموافقة لأنه هو نفسه يوغرطة قد تبني خلال الثلاث السنوات الأخيرة وهو الأمر الذي يجعل له الحق في وراثة العرش. غاصت هذه الكلمات في عقل يوغرطة وامتألاً بالغيض والخوف فقرر أن ينهي بأي أسلوب هذه القضية. Salluste, op cit, XI

Salluste, op cit, XII, 1; Decret et Fantar, op cit, p. 121.

3

Salluste, op cit, X.

4

حفاظا على الوحدة السياسية والجغرافية والانتماء القومي للأمة النوميديّة المغاربية، وحفاظا على كرامة الأسرة الملكية والعرق والنسب حاول يوغرطة جاهدا أن يقي على درجة من التفاهم والتناغم السلمي والود الأخوي مع أفراد العائلة الحاكمة الممثلين في ابني عمه إلى الواقع المفروض والمصلحة العليا للوطن والأمة النوميديّة، والعمل على تنفيذ وصية الملك المتوفى القائمة على أساس الأخوة والتفاهم والوحدة الترابية وتقاسم ادوار الحكم الثلاثي، لكن كل محاولاته لم تنجح لتعنت ابني مسيسا، وأيضا بتحريض غير مباشر من روما، إذ دخلت الأزمة السياسية منذ وفاة مسيسا وبطرق غير ظاهرة للعلن، بهدف تشتيت المجتمع النوميدي وتقسيم نوميديا الموحدة إلى ثلاث أقاليم، يحكم كل طرف من المتنازعين الثلاثة إقليما ويستقل به.

ومن هذا التقسيم يسهل على روما الهيمنة على الممالك النوميديّة في منظور مشاريع التقسيم الصغيرة بسياسة التفرقة، ثم الضرب بقوة، واحتلال وضم إلى أملاك الجمهورية التوسعية.. وكل هذه الاحتمالات تفتن لها يوغرطة،¹ فهو العارف والخبير بسياسات روما التوسعية ونواياها، فهو من ساعدها في حروبها التوسعية باسبانيا لأسباب ظرفية واستراتيجية لنوميديا آنذاك، بعد ذلك قرر الشروع في عمل تاريخي وطني وعدم الانتظار وتضييع الوقت لإنقاذ المملكة المتداعية للانقسام، ودرا للأخطار داخليا وخارجيا.

2.3 تطبيق شرعية الوحدة بالحرب والتضحية بأفراد حفاظا على الأمن النوميدي المشترك:

كان واضحا آنذاك أن نداء الوحدة النوميديّة جمع القبائل وإخاء اتسع نطاقه بعد سقوط الجدار الأمني الحامي لنوميديا من شرقها (الدولة القرطاجية) وما تبعها بعد ذلك من إنشاء خندق دفاعي معادي على الحدود الفاصلة بين الإقليم القرطاجي المحتل ومملكة نوميديا الواسعة، كمحاولة الالتقاء حول هدف أضفى مع التناهي والتعاهد من جهة يوغرطة ومناصريه على إعادة الوحدة النوميديّة التي أصبحت مادة في برامج جميع الحركات المسلحة فيما بعد. فبدا يوغرطة أولى نشاطاته استرجاع هيبة المملكة ثم الإسراع في لم شمل القبائل قبل تفرقهم بينهم الثلاثة، ولإنجاح ذلك أنهى الخصم غير القوي هيمصال عبر مؤامرة محكمة فتم اغتياله² خلال سنة 118 ق.م، وبذلك تخلص يوغرطة من أول خصم يمكن أن يكون طرفا فاعلا في تقسيم المملكة النوميديّة وإلحاق الضرر المستقبلي بها.

ولم يبق له سوى خصما اقل حنكة سياسية وخبرة عسكرية وهو اذربعل، فيوغرطة اتصف بالحيوية والنشاط وحب الحياة العسكرية، خلافا لعزربعل المسالم الميال إلى الحياة الهادئة، مما حدا بسالوستيوس وصفه انه يخاف أكثر مما يخيف، هذا الأخير (اذربعل) سارع يوغرطة مع مناصريه لمهاجمته عن طريق عنصر المفاجأة والمباغطة في معركة كبيرة انتهت لصالح جناح يوغرطة. بعدها فر اذربعل مهزوما وقصد روما طالبا النجدة والمساعدة منها.

3.3 تدخل الوصاية الخارجية لإعادة الأوضاع بنوميديا لما بعد الوحدة:

Decret et Fantar, op cit, p 126-7 ; Lassère J. M., Africa, quasi Roma, 256 avant J. C.-711 ap J. C. éd, CNRS, France, 2015, p 88.

Salluste, op cit, XI, 2-9. Orose, Histoire, trad. M..P. Arnaud-Lindet, , Les Belles-Lettres Paris, 2003, I,V.

في الوقت الذي فر فيه اذربعل إلى روما ندد في مجلس الشيوخ بأعمال يوغرطة وحاول إبراز خطورة نواياه، ومحاولا كسب أعضاء المجلس إلى جانبه، بإظهار تبعيته المطلقة لروما التي طلب منها العون والمساعدة بكلمات كلها تملق واستعطاف في خطاب مطول نقله لنا سالوستيوس.¹ كما لم يتوقف بالتنديد فقط بل طلب مساعدة عسكرية عاجلة ومباشرة له، أثنائها لم تكن روما مستعدة لذلك عبر الزج بفرق عسكرية وهي في مشاكل داخلية وخارجية، فما كان منها إلا أن قامت بالصلح بين اذربعل ويوغرطة، واقتربت عليهما في وصية² تقسيم حكم المملكة فيما بينهما. أثناءها وافق يوغرطة³ على الاقتراح على مضض لعدم جاهزيته للقتال المباشر ضد الفيالق الرومانية النظامية والمحترفة، وهو لم يجمع عددا مماثلا من المقاتلين لذلك، وأيضا الكثير من أتباع اذربعل من القبائل التي ناصرت أبناء مسيسا، وهكذا تم تقسيم الملك بين الخصمين سنة 117 ق.م.

حينها اعتقد الجميع أن المشكلة قد انتهت بما في ذلك روما، ولكن يوغرطة كونه رجلا عسكريا ووطنيا وحدويا، لم يهدأ له بال وضل مدة خمسة سنوات في التخطيط لحرب شاملة واكتساح جغرافية حكم اذربعل وضمها في مملكة واحدة مع الاستعداد للمواجهة المحتملة لدخول روما الحرب مناصرة لحليفها الاستراتيجي في المنطقة. كما حرص يوغرطة على أن تجرى اتصالات مع مناصريه بعيدا عن الأضواء وعن بعض الرفاق الغير مؤتمنين، فالحج المشحون لم يكن يسمح بأي خطأ، حيث كانت تنفذ خطوات سريعة ونشطة لتدعيم القوات الثورية ونشر انتفاضة شاملة وتعزيز الانضباط. فهاجم مركز حكم اذربعل بالعاصمة قرط سنة 112 ق.م، بعد معركة دموية يوما كاملا واستمرت لساعات من الليل على مشارف المدينة. فرضت خسائر المعركة على اذربعل التراجع داخل أسوار المدينة المحصنة قرطاً، وانتظار مساعدة الحلفاء، واستمر الحصار خمسة أشهر بعدها تمكنت وحدات يوغرطة اختراق الأسوار ودخول المدينة بعد نفاذ مؤنّها، وقتل اذربعل ومعه كل من ناصره مقاتلا، واستمرت الإعدامات لتشمل جاليات ورعايا مقيمين بقرط منهم تجارا وحرفيين وعسكريين سرّيين، الذين ناصرو اذربعل وأمدوه بالمال والمؤن والوعود من روما، وهكذا انتهت الحرب الداخلية بين النوميديين بضحايا كثيرين.⁴

استلم يوغرطة المدينة منتصرا ونصب نفسه ملكا لعرش مسيسا الراحل، وبدعم وسند من كل النوميديين الذين بايعوه بالإجماع⁵ لما عرفوا عنه من بطولات وشجاعة قتالية ونظرة وطنية نوميديّة مخلصّة، ومعاداة للرومان وأنصارهم من المترومين. وبهذه الأعمال الأخيرة

Salluste, op cit, XIII.

1 هنا يظهر يوغرطة حليما في عدم تسرعه. لان من شروط القائد الكفء قدرته على اتخاذ قرارات سريعة أو إصدار أوامر، بحيث لا يتعجل ولا يتردد حتى لا تفوت الفرصة، وان يحسن التوقيت الصائب وقدرة التنبؤ بالمشكلات قبل وقوعها والعمل على تفادها. وتلك الوصاية هدفت في المخطط المستقبلي خدمة للأمن الحدودي، وإضعاف القوة الجوية إلى وحدات مجزة تسهلا لعمليات تنفيذ مخططات الإلحاق بعد الانتهاء من جبهات قتال الجمهورية الرومانية.

2 Camps G., Aux origines de la Berbérie, Massinissa ou les débuts de l'histoire, Libya, VIII, Alger, 1960, p 243 ;

3 Le Bohec Y., Histoire de l'Afrique romaine, 146 av J.C - 439 ap J. C, Picard, Paris, 2005, p 39.

4 Salluste, op cit, XXIV, 2- 10 ; XXVI, 1, 3; Berthier A., Juliet J, Charlier R., le Bellum Jugurthinum et le probleme de Cirta. Constantine, 1949, p. 35 ; Saumagne, op cit, p. 27.

5 مهما كانت سمات القائد فان قيادته لا يكتب لها النجاح والنصر ما لم تلق جوابا ايجابيا من الأتباع، فالقائد لا يستطيع إحداث أي تغيير في حياة الناس ما لم تكن عقولهم معدة ومهيأة لتقبله واحتضانه والتحمس له، وهو ما كان يتوفر عليها (سمات الإجماع) يوغرطة في أوساط النوميديين وحتى الموريطنيين.

نرى أن دبلوماسية يوغرطة ومفاوضاته انتهت برفض قاطع للتعاطي السلمي مع الرومان محبذا الحل العسكري شاحذا لذلك الشعور القومي لعامة النوميديين (فلاحين ورعاة بشكل رئيس) الذين كانوا العنصر الأساس لحركة المقاومة المسلحة.

4. خيار الحرب المباشرة واتخاذ استراتيجيات حربية للأطراف الفاعلة فيها:

باعتلاء يوغرطة عرش المملكة النوميديّة بالعاصمة قرطا سنة 111 ق.م واستقرار الحياة العامة في نوميديا، ظهرت روما كعقبة حقيقية لحكم يوغرطة، بل واعتبرته خطرا على مصالحها الاقتصادية والسياسية والأمنية (امن الجوار) خاصة بعد تمردده على وصيتها ورفضه للصلح الذي أبرمته برعايتها مع ابن عمه اذربعل وقتله له وهو الذي كان تحت حمايتها هذا من جهة.

ومن جهة أخرى قتل رعاياها من الرومان بقرطا أيام المعركة مع اذربعل، ومصادرة ممتلكاتهم ومعهم فينيقيون وبعض النوميديين المعارضين له الذين حملوا السلاح ضد جنوده ومناصرين لاذربعل ولروما، وبذلك قررت روما الإطاحة بالملك الجديد يوغرطة ونسف مشروعه في لملمة شمل النوميديين قبل أن يستقوي بكل القبائل، فأعلنت الحرب¹ عليه، بعدها أعلن يوغرطة أيضا الثورة² على روما.

أرسلت روما سنة 110-111 ق.م أول جيش لها بقيادة بوسستيموس بينوس لمملكة نوميديا اليوغرطية استفزازا وتحرشا بقواتها، لكن يوغرطة تفادى المواجهة واستعمل سلاح الرشوة وشراء الدم، فوقع صلح بينه وبين بوسستيموس الذي فضل الرشوة على طموحات بلاده، غير أن سلطات روما علمت بذلك وطلبت من يوغرطة الحضور لروما، فنزل بها محترزا حيث دبر عملية ارتشاء ثانية، وتفادى الإدلاء بالشهادة، فقد أتاحت له هذه الزيارة لروما معرفة المدينة من داخل السلطة أولا ثم ظهوره بمظهر البطل المتمكن عن الأسرار وعدم نزوله إلى مستوى الواشي على من تعامل معه أثناء هذه الزيارة.

1.4 إستراتيجية يوغرطة الحربية الجديدة ضد روما:

- اختراق العدو من الداخل: ظهرت هذه الإستراتيجية فاعليتها عندما اكتشف يوغرطة - عن طريق معاونيه ومخبريه من الرومان أنفسهم - محاولة اغتياله في روما أثناء زيارتها عن طريق تجنيد روما احد أبناء عم آخر ليوغرطة ويدعى ماسيوه بن غولوسة والمقيم بروما لاغتيال يوغرطة غدرا³ لكن يوغرطة اجر مرتزقة لقتل ماسيوه ابن عمه فدبر له عملية اغتيال داخل العاصمة الرومانية، ثم عاد يوغرطة راجعا إلى قرطا بنفسية الواصل من كل أعماله العسكرية والتخابرية.

1 الهدف السياسي هنا (إبقاء السلطة النوميديّة تحت النفوذ الروماني) الذي يعتبر كدافع أساسي للحرب، يقدم حجم الهدف من خلال عمل عسكري كبير، فالحرب هنا أداة سياسية حقيقية متابعة للأهداف السياسية تحقق لها بوسائل التجنيد ونقل الرعب للطرف الآخر (يوغرطة)، وبمعنى آخر أن السياسة تتدخل في مرحلة ما (التفاوض، إملاء الشروط، الوصاية...)، لكن تكملها الحرب في حال لم توفق السياسة في الأهداف (كهذه الحالة في الحرب ضد يوغرطة).

2 المقصود بالثورة المغاربية في عهد يوغرطة ذلك التحرك المسلح الذي عبر من خلاله سكان بلاد النوميديون بقيادة زعيم لهم، - باختلاف نمط عيشهم وحجم تكتلهم وانتماءهم الجغرافي والقبلي - عن إرادة جماعية لمواجهة واقع معين مرفوض لديهم، مستعملين القوة المسخرة وسيلة لتحقيق هدف الوحدة الترابية، وهذا بغض النظر عن مدى نجاح أو فشل التحرك في تحقيق غايته وأهدافه.

3 اعتماد روما على احد أقرباء يوغرطة للتخلص منه، سببه حساسية أن تتهم روما باغتيال يوغرطة وتهب القبائل النوميديّة فداء لمقتله، وتتوحد في ثورة كبيرة تفقد روما خلالها مخططاتها المستقبلية على نوميديا، واحتمال أنها تخسر الحرب إذا تحالفت موريطانيا مع الثورة المحتملة، واحتمالية فقدان المقاطعة الرومانية المجاورة لنوميديا، لذلك اختارت قريبا له لكي يشعر النوميديون أن الاغتيال له خلفيات عائيلة حول وراثة العرش.

– الدعاية وتشكيك الخصم في قدراته وولائات قياداته، ووطنية مواطنيه باستعمال سلطة المال:

استمال يوغرطة عبر سياسة مأكرة وهي إحدى أساليب الحرب غير التقليدية كثيرين من الشخصيات الرومانية بالأمل، وآخرين بالرشوة واستطاع أن يوجه آراء بعض أعضاء مجلس الشيوخ لكي لا يتخذوا إجراءات صارمة ضده. لكن الدعاية الكبرى والشهيرة ليوغرطة كانت بعد العودة من زيارته لروما أن أطلق مقولته المعروفة تاريخيا ب "مدينة روما معروضة للبيع، ستتلاشى قريباً إذا وجدت شارياً... وصل صداها وتأثيرها السريع إلى روما ومقاطعاتها وبثت ايجابيتها وفعاليتها في تقليل الروح المعنوية¹ للرومان والتشكيك في فساد أجهزتهم الإدارية والعسكرية وشعور الرومان بسهولة شراء ذمم القيادات العسكرية وأعضاء المجالس المنتخبة والمرترقة.. وفي هذا الصدد يبين لنا الباحث سوماني أن رواية سالوستيوس في كتابه حرب يوغرطة أن تنوع وتعقد المصالح والانفعالات والمناورات السياسية والاقتصادية أطرت الاشتباكات وتطوراتها.²

تلك الاهانة العلنية والمباشرة الصادرة من يوغرطة ضد سلطات روما أشعلت فتيل الحرب من جديد (بين يوغرطة وروما) خاصة بعد فضيحة اغتيال ماسيوه بن غلوسة في قلب شوارع روما، وهكذا أرسلت روما جيشاً بقيادة اولوس خلال سنة 110 ق.م والتقى الجيشان بالمكان المسمى حالياً مادوروش وفيها انتصر يوغرطة انتصاراً كاسحاً على القائد الروماني، وأمر فرسان وأبطال روما من الأسرى بالمرور تحت قوس النصر الذي نصبه يوغرطة خصيصاً لاهانة الجيش الروماني ومن ثمة اهانة روما وكسر شوكة عليائها وكبرائها، وقد اعتبرت روما هذه الواقعة أكبر فضيحة مدوية في صفوف فيالقها العسكرية وأكبر اهانة لحقت بمركز قرارات الجمهورية بروما.

بهذه الاهانة قررت روما وعلى عجل سنة 109 ق.م إعلان الحرب المباشرة³ وعلى كل الجبهات مع توقيف كل العمليات العسكرية في مختلف أقاليم الجمهورية الأخرى والزج بالوحدات القتالية الأخرى في هذه الحرب، مع تنصيب الجنرال والقائد المحنك كوينتوس كاي سيلوس ميتلوس⁴ Quintus Caecilius Metellus قيادة العمليات القتالية ويساعده أبرز القادة الرومان المؤتمنين ضد الخيانة أو الضعف أمام الرشاوي وهو الجنرال ماريوس، وكلاهما معروفان بالاستقامة والنزاهة والتفاني والتضحية خدمة لروما وشعبها ومشاريعها الاستعمارية، وبذلك ضمنت روما الحصانة الكافية لقائديها الجديدين من السقوط في مساومات يوغرطة المادية.

ثم أجبرت يوغرطة على المواجهة الميدانية، مما عجل باصطدام الجيشان في معركة وادي مجردة هزم خلالها يوغرطة شهر أوت سنة 109 ق.م، ليتراجع إلى قرطاً لتجميع قواته، ومع حلول سنة 108 ق.م حدثت مناظرة ثانية بضواحي قفصة (بتونس)، تمكنت

1 الروح المعنوية "شعور ذاتي لكل فرد من الجماعة (القبيلة) بأهمية العمل لمواجهة التحدي مع التصميم على تحقيق أهداف الجميع والصبر على مواجهة آثار الهزائم والعمل المتعاون المخلص في سبيل الأمة واستمرار تاريخها المجيد والحفاظ عليه". وهناك من يستخدم مفهوم (التماسك) في تحديد مفهوم (الروح المعنوية) التي تقضي التواصل والمشاركة والشعور بالمحبة المتبادلة بين أعضاء الجماعة، فالروح المعنوية مفهوم نفسي اجتماعي يتصف به الفرد أو الجماعة بلا إشارة إلى حالتها النفسية من ضبط النفس والثقة بها وتنظيم العمل في مواقف الحياة الطارئة. سامي الختاتنة، المرجع السابق ص 141، 142.

2 Saumagne Ch., op cit, p 05.

3 لم تحبذ روما في البداية التدخل العسكري أو التورط المباشر، والإستراتيجية الرومانية في ذلك برزت بسرعة التلبية وخفة الحركة ومداومة النشاط لمساندة أصديقاتها (أنصار اذربعل) والتدخل إلى جانبهم. ونتيجة لذلك سجل الرومان نقاط تقدم كثيرة على خريطة الصراع المغاربي خلال العقد الأخير من المئوية الثانية قبل الميلاد في مواجهة التردد والحذر وبطء الحركة والتراجع الروماني.

4 من صفات هذا القائد استعداده الجيد لخوض المعارك، والإخلاص والحماس في أعماله، وإتقانه مهارات القتال والتخطيط، وقدرته العالية على مواجهة الأحوال الطارئة في الحياة العسكرية و المواقف القتالية الصعبة.

فيها القوات الرومانية من إلحاق نكسة عسكرية أخرى ضد قوات يوغرطة بعد محاصرته أربعين يوما، فانسحب يوغرطة بجيشه ولم يتمكن الرومان من إلقاء القبض عليه، ليقوموا بسياسة إبادة ضد السكان وتدمير المدينة كاملا مع إحراقها، وقتل من كان بها، في أواخر سنة 108 ق.م، انتقاما لمساعدتهم لوجستيا قوات يوغرطة، وواصلو زحفهم المنظم حتى استولوا على مدينة قرطا عاصمة مملكة يوغرطة.

بذلك سيطر الرومان على نوميديا الشرقية والوسطى، وأمام ثاني خسارة كبيرة للمقاومة النوميديية بدأت تتراجع في البداية كنتكتيك مرير لاستحضار عوامل القوة. حينها لجأ يوغرطة طالبا المدد والمساعدة من صهره بوخوس الأول ملك موريطانيا الجارة لنوميديا غربا، واستمالة قبائل موريطانية وبمساعدة من بوخوس، أعاد يوغرطة تجميع القوات والمواجهة ضد الجيش الروماني في معارك كان آخرها معركة وادي العثمانية سنة 106 ق.م، تمكن فيها يوغرطة من نصر نسبي اظهر خلالها مقاومة عجيبة كادت أن تلحق هزيمة كبرى بالقوات الرومانية. ومن هذه المعركة شعرت القبائل المغاربية المتحالفة أنها تحقق نجاحات كبيرة على الأرض، ويبدو أن هذه النجاحات قد جاءت نتيجة لتوحد القوى الوطنية من جميع قبائل بلاد المغرب من قبائل طرابلس شرقا إلى موريطانيا غربا مروراً بأراضي نوميديا، وما يؤكد أن القاسم المشترك الذي جمعها هو الدعوة إلى الوحدة وإفشال مخططات التقسيم وطردهم الغزاة.

- ربطه استعداداته للحرب المحتملة بعوامل مساعدة:

- العامل الطبيعي: المنطقة المغاربية من الناحية الجغرافية والمناخية إقليميا واحدا يجعل منها كتلة متراصة يصعب تجزئتها، رغم قساوة المجال الجغرافي في بعض مناطق شمال بلاد المغرب إلا أن أول ما يتبادر إلى ذهن المتحدث عن المحارب المغاربي في حروبه قديما، ما تناوله مؤلفون كثيرون عن ذلك منهم الشاعر سيليوس الايطالي حين قال "...كل شيء يهدد الرومان كل أيبيريا وكل غاليا المتوحشة بسرقاتها السريعة، وكل ليبيا التي تموت من العطش تحت تأثير قسوة مناخها".¹ فغالبا ما كان الثوار النوميدي يلجؤون نحو المناطق الجبلية وشبه الجافة والجافة بالهضاب والجنوب للاحتماء من سياسة التطويق العسكرية الرومانية أو المواجهة المباشرة، من اجل إعادة التجميع، وتوحيد الجهود، وهذا دليل على أن الثوار النوميدي كانوا على دراية كبيرة بسميزات المجال الطبيعي لسرعة التأقلم، مقابل صعوبة للرومان الذين عانوا من هذه المخططات العسكرية المحلية وتعرضوا أحيانا لهزائم في هذا المجال الغريب عنهم، وفي هذا توظيف ذكي للبيئة المحلية للمغاربة.

- العامل القبلي والشعور بالانتماء والوطنية: ما وحد بلاد النوميدي الشعور الوطني والخطر الخارجي بعد الحملة العسكرية التخريبية على أراض مغاربية وهي الحملة الأخيرة على الإقليم القرطاجي التي أدت إلى احتلال أجزاء منه والسيطرة عليه وفرض النظم والثقافة الرومانية عليه، ومن هنا بدأت معركة التحدي ورد الفعل ضمن مسار زمني متواصل، والدارس لتاريخ بلاد المغرب القديم يتضح له مدى ترابط هذه المنطقة وتماسكها من حيث النسيج الاجتماعي والثقافي، والتنظيم السياسي وعلى فترات مختلفة وهي كتلة واحدة.

- العامل البشري للتجنيد والتجيش: ارتكز توازنه على تكافؤ القوى بين القبائل مما يقضي أن تكون كل قبيلة وحدة عسكرية مستعدة لمواجهة أي هجوم أو اعتداء، وكل فرد في القبيلة جنديا مكلفا بالدفاع عن قبيلته، فلم تكن هناك فئة تختص بالأعمال المدنية دون

العسكرية والعكس. فنفس النوميدي الذي ينتقل للعمل في الحياة العادية هو الذي يحمل السلاح وقت الحرب ويشكل سلك المشاة، والطبقة الموسرة في القبيلة تشكل الفرسان لامتلاكها الخيل. فاندماج الحياة المدنية والعسكرية داخل النظام الطبقي القبلي زمن يوغرطة جعل القبائل النوميديّة مستودعا للتجنيد.

2.4 الإستراتيجية القتالية الرومانية في الحرب:

لم تحبذ روما في البداية التدخل العسكري أو التورط المباشر، وإستراتيجيتها في ذلك برزت بسرعة تلبية ومداومة النشاط لمساندة أصدقائها (أنصار اذربعل) والتدخل إلى جانبهم. ونتيجة لذلك سجل الرومان نقاط تقدم كثيرة على خريطة الصراع النوميدي الداخلي لكن توسع نطاق الثورة جغرافيا والتي انبثقت عن تحالف قبلي كبير جمع قبائل الموزولامي والجيتول وحتى من الجرامنت .. جعل القيادة الرومانية أن تتخذ بعض الاستراتيجيات السريعة حيال ذلك ومنها:

- التجيش الكبير والتركيز على جبهة قتالية جغرافية واحدة والاعتماد على تنسيق جهود الفرق العسكرية النظامية خارج بلاد المغرب مع الفرق الرابضة في المقاطعة الرومانية بالإقليم القرطاجي السابق، والوحدات المساعدة لها والتابعة لأنصار الموالة من جهة اذربعل.

- الاعتماد على نوع المعدات والعتاد والإمداد ووفرته ودراسة ظروف المعركة الخاصة بكلا الجانبين المتحاربين وطبيعة الأرض والقيادة والتدريب، إضافة إلى العنصر البشري وما يتصف من مجموعة خصائص شخصية في الجندي الروماني المحترف كالشجاعة والإيمان والإصرار على القتال. كما تشير خبرات الحروب الرومانية في البلقان وصقلية واسبانيا وبلاد الغال أن التفوق النوعي للقوات الرومانية المقاتلة على ارض المعركة اعتمد بدرجة أولى على مستوى معنويات الأفراد وإصرارهم على القتال، وان معدات القتال سوى مجرد آلات تؤدي وظيفتها ولا يمكن الإفادة منها واستغلالها إلا عن طريق الطاقة البشرية.

3.4 خصوصية الحرب اليوغرطية الرومانية.

عرف عن بيئة البلاد المغاربية أنها مناسبة لممارسة المناوشات والحرب الخاطفة التي برع فيها أبناؤها كثيرا بشهادة المصادر القديمة.¹ والحرب الخاطفة والمناوشات نوع من الحروب تتطلب الدقة وسرعة التنفيذ التي ألحقها الثوار النوميدي بالجيش النظامية الرومانية بهذه الطريقة² منها اعتمادهم على خصوصيات خيولهم ذات القوائم الثابتة التي تتأقلم مع طبيعة التضاريس المغاربية المتنوعة، وتتميز بالسرعة التي تؤهلها للقيام بمهام الاستطلاع والحرب الخاطفة.³

فالمواجهات المغاربية الرومانية شهدت تكافؤ الطرفين ولم يسجل أي منهما أية انجازات عسكرية نهائية، وكلاهما لم يستطيعا تطوير أدوات صراعهما وعجزا عن الانتصار الحاسم أمام إعادة تساوي موزان القوى فتحول الشعور بالنصر إلى مكتسبات صغيرة

Tite Live, Histoire romaine. Trad., Verger Ed, Panckoucke, Paris, 1930, XXV, 34; Polybe, Histoire romaine trad. D. Roussel, éd. Gallimard, Paris, 1970, X, 32 ; III, 71, 74.

1

Tite live, op cit, XXV , 34 ,1-6 ; Polybe, , op cit, III, 72, 10; 74, 1; 65, 10.

2

Polybe, op cit, IX, 7.5.

3

وهامشية.. فظهرت سياسة الرومان الحربية في بلاد المغرب على أنها سياسة تخبط مستمر تتأرجح بين الإقالة والتعيين لقاداته العسكريين وفاقدة لأية معالجة صحيحة قادرة على إخراج روما من حالة فوضى الثورة اليوغرطية التي تمر بها، ولم تتوقف قط.

فكان وضع الرومان حرجا يسير إلى السيئ، ويشير إلى خطورة المرحلة التي مر بها الحشد العسكري إلى الهاوية، فالتدخل العسكري الروماني المباشر كان سريعا إلا أن هذه السرعة إذا ما قيسَت بسرعة إخفاقات تكتيك الحرب ونتائج الحسم لا يمكن أن يكتب لها أسباب النجاح والدوام، فذلك التدخل كان متسرعاً ومحدداً. وبالأخص بعد معركة وادي العثامنة..

5. المؤامرة الكبرى ضد يوغرطة.

بعد معركة وادي العثامنة التي برهنت على سرعة يوغرطة في تجنيد مزيد من القوة البشرية من مختلف القبائل، عمل الرومان على استبدال الصراع العسكري إلى صراع استخباراتي مستعملين أساليب الإغراء والنفاق والحيل التفاوضية مع حلفاء يوغرطة للإيقاع به أو اغتياله من أجل إجهاض ثورته الكبرى، مع تدعيم ذلك عسكرياً بإتباع مراكز تجمعات مقاتلي يوغرطة.

كما أكدت للرومان صلابة يوغرطة وتفوق جيوشه بالمفاجأة في القتال والتعبئة السريعة من قبائل نوميدية وأخرى موريطانية، مما أوجد حالة توازن القوى القتالية والمناورات العسكرية الأمر الذي يستحيل على الرومان الانتصار على الخصم خاصة وأن الحرب طال أمدّها وأصبحت الفرق العسكرية الرومانية الرابضة على جبهات القتال تمل من الأوضاع ويدخلها شك الهزيمة وهدف هذه الحرب... كل هذه الأسباب جعلت القائد والقنصل جايوس ماريوس Caius Marius يستعمل الدهاء السياسي والدبلوماسي كمكملات للحرب العسكرية، ومنها تظاهره بالصلح بين الخصوم المتقاتلة.

كما استطاع ماريوس مع حلول سنة (105 ق.م) استمالة ملك موريطانيا بوخوس الأول في سياسة مأكرة ويقنعه بترك مُساندة صهره يوغرطة، وتشجيعه على القيام بمؤامرة¹ ضده بإمساكه وتسليمه للرومان، مقابل شرف معنوي تمثل في لقب حليف وصديق لروما.

1.5 الدعوة لصلح افتراضي مموه بخداع تأمري: (بين الرومان وصهر يوغرطة ملك موريطانيا بوخوس).

افتتحت جلسات صلح بين بوخوس ممثلاً ليوغرطة وبين سلا أحد كبار الدبلوماسيين ممثلاً لماريوس وبحضور ممثل شخصي عن يوغرطة في الاجتماعات الثنائية العلنية، أما الجلسات السرية كان بوخوس يجتمع مع قيادة الرومان للتآمر على يوغرطة مقابل اقتطاع جزء من تراب مملكة نوميديا لبوخوس ليضمها لمملكته في حال الإيقاع بيوغرطة، وهكذا التقت ثلاث قوى ضد الاغليد يوغرطة الأولى ممثلة في القائد العسكري القنصل ماريوس بجيوشه المنظمة والقوية وإصراره على الانتصار، والثانية يمثلها خبير المفاوضات الدبلوماسي الروماني سلا بمراوغاته السياسية، والقوة الثالثة الأكثر ضرراً على مشروع الوحدة ممثلة في مؤامرة بوخوس صهر وأب زوجة يوغرطة.

1 في البداية رفض الملك بحجة العلاقة الجوارية وقربة الدم ومعاودة بينه وبين يوغرطة تمنع ذلك، كما انه خاف إذا ما تصرف كخائن فإن ذلك سيقلب المواطنين الخاضعين له ضده لأنهم يحبون

يوغرطة ويكرهون الرومان. وبعد إلحاح وضغط سلا وافق مبدئياً على ذلك. Salluste, op cit, CXI, 1.2.

ويقال في تلك الليلة أن بوخوس كان في حالة صراع داخلي مع نفسه وكان واضحاً في تعبيرات وجهه وعيونه فبالرغم من أنه لم يقل شيئاً فإن ملامحه تكشف عن أسرار نفسه، لكنه في النهاية أمر أن

يأتي سلا أمامه ويخضع لرغبته ونصب المكيدة للنوميدي (يقصد يوغرطة). Salluste, op cit, CXIII, 3.4.

نفذت المؤامرة بدعوة من بوخوس ليوغرطة لإمضاء معاهدة الصلح وهو مجرد من سلاحه في صائفة سنة 105 ق.م، ليتم القبض عليه اعزلا من السلاح، ويقتاد مكبلا بالأغلال ومشيا على الأقدام - وهي عادة ضد أسرى المعارك - من قرطا إلى الميناء ثم إلى روما. وهذه الواقعة صدمت القبائل النوميديّة والمورية وأفقدتها التوازن والترابط وعدم الثقة في بعضها وفقدت الأمل في مقاومة الجيش الروماني المنظم، وأصبح الجو مشحون بينها بالكراهية المؤقتة ولم يستوعبوا أن أكبر أبطالها سيق بتلك البساطة إلى أشهر سجون روما بمؤامرة نفعيه للأطراف المشاركة أفقدت ثورة النوميدي ثقتها في حلفائها، فأصبح التمرد ضاربا بأفق بعيد المنال.

وهكذا ولدت أحرب يوغرطة من رحم مرحلة عصيبة في مسيرة الثورة الشعبية حيث واجهت منذ البداية جبهة قتال معقدة ومتداخلة بين القبائل المغاربية ثم مع جبهة قوية ومنظمة رومانية، وانتهت بخيانة ثقة من حلفائها، جرت بطلها وقائدها لسجن الإعدام.

5. 2 أهداف روما من المؤامرة:

كان للرومان دوراً أساسياً في تحريك عوامل الصراع في المنطقة بهدف إطالة نفوذها وتنفيذا لمصالح الجمهورية الرومانية كدولة عظمى لها إستراتيجيتها التنافسية. فكان هدف السلطة الرومانية المستقبلية غزو البلاد المغاربية ثم احتلالها وضمها، وحتى يحين وقت هذا الانجاز، كانت الإستراتيجية الرومانية ملزمة بالحفاظ على البلاد مجزأة سياسياً ويبد ملوك ضعاف، سواء ضلوا طيعين أو راود بعضهم حالة السيادة والتحرر من كل القيود الأجنبية.

ويتضح أن هذه المؤامرة هدفت روما منها إلى:

- الإسراع في إنهاء ثورة يوغرطة بأي ثمن كان لان الحرب الرومانية الغالية¹ ألقت بالهزائم الرومانية. فلطالما تأخرت روما عن مناصرة اذربعل بسبب مواجهاتها العسكرية المنهكة مع القبائل الغالية.²
- إجهاض الثورة اليوغرطية نهائياً عبر الإمساك بقائدها وشنقه ترهيباً لأي قائد آخر يحذو حذو يوغرطة في المقاومة أو التمرد على روما.
- إشراك أحد أكبر الفاعلين السياسيين من المغاربة في المؤامرة وهو ملك موريطانيا لإعطاء جو مشحون بالكراهية والتشكيك بالخيانة والتفرقة بين المغاربة وإضعاف معنوياتهم فيما بينهم.
- إعطاء صدى دعائي كبير بقوة الجيش الروماني وانتصاره في أي منطقة من حوض المتوسط، ورده القوي لأي مقاومة أو ثورة مناهضة للوجود الروماني في شرق المتوسط أو غربه.

1 هذه الحرب وقعت عام 105 ق.م وهزم فيها الرومان، وفشل القائدين كوينتوس كايو Quintus Caepio وغنايوس مانليوس Cnaeus Manlius ضد قوات القبائل الغالية ما جعل العرب يمتلك إيطاليا بكاملها، وأصبح الجيش المقاتل في بلاد غالة بالكاد يقاتل من أجل سلامة أفراده لا من أجل المجد الروماني، لذلك كان ضروريا أن تنتهي حرب نوميديا، والبحث عن انتصار معنوي، لذلك وجد الرومان في بوخوس شريكا لإحراز النصر عبر إغوائه بتسليم جزء كبير من نوميديا ليضمه لمملكته الكبيرة. وبمجرد إلقاء القبض على يوغرطة أعلنت روما بسرعة نهاية الحرب في نوميديا، وأعلن تعيين ماريوس قسلا وهو غائب، رغم أن هذا الانتخاب يخالف القانون الروماني لأن القنصل المرشح وجب حضوره وتمر 10 سنوات على انتخابه السابق ليعاد انتخابه. ثم أسندت له مقاطعة بلاد غالة لإعادة السلطة فيها.

- استغلال القبض على يوغرطة في الدعايات السياسية والانتخابية والتوجهات الحزبية في روما.

3.5 أهداف ملك موريطانيا بوخوس الأول من المؤامرة.

- الأمل في مد جغرافية المملكة لأقصى حد، خاصة وأنه درك أن مقاومة صهره ضعفت ولن تحقق ما كانا يصبوان إليه.
- إستراتيجيته في التضحية بقائد وبعض مرافقيه مقابل إنهاء الحرب والدمار حفاظا على الأرواح وسلطته على الموريين والنوميدي.
- الظهور بمظهر الملك المغاربي الأقوى في المنطقة والحليف الاستراتيجي للرومان.
- النظرة البعيدة في تقوية المملكة مستقبلا وانتهاز فرص مواتية حال ضعف روما بحرب خارجية كبيرة للانقضاض على ما تبقى من نوميديا وربما الجزء الروماني من الإقليم القرطاجي.

6. نهاية الثورة النوميديّة الكبرى بمقتل يوغرطة.

بعد وصول القائد الروماني ماريوس إلى روما أقام عيداً للنصر في ساحتها العامة ، في 01 جانفي 104 ق.م وأقام استعراضاً عسكرياً كبيراً، وربط يوغرطة بإحدى عربات الاستعراض عاري الجسم حافي القدمين ومكبلاً بالأغلال، متبهاً ومتفخراً بانتصاره على يوغرطة أحد المتمردين والعاصين في نظر روما. بعدها رمي بيوغرطة في دهايز وأقبية السجن العسكري بروما "توليانوم Tullianum والمعروف حالياً باسم أيل كارسيري مارتينون، ولمدة ستة أيام دون أكل وشرب ولا غطاء أو كساء أو ضوء.

وفي السابع جانفي 104 ق.م تم إخراج يوغرطة إلى الساحة العامة بروما وشنقه حتى الموت في مشهد إعدام استعراضي أمام العامة وأمام الشعوب المنتفضة أو المتمردة في مقاطعات الجمهورية الرومانية آنذاك لأن تأخذ عبرة النهاية المأساوية لأحد الثائرين الكبار ضد سياسات النفوذ الرومانية.

اعتبرت ثورة يوغرطة أول ثورة معروفة بشكل مفصل¹ ضمن المواجهات بين النوميدي والرومان، وهي تشكل أول وأكبر وأطول المواجهات المسلحة النظامية التي خاضها قادة نوميديون كبار ضد الرومان، وذلك بفعل أبعادها الوطنية وخطورتها على القوى المتوسطة. وبالتأكيد لم يكن يوغرطة عميلاً للرومان ولا خائناً لوطنه اعتمد على القبيلة التي عظمت حركة مقاومته يقودها كبار ضباطه يعبئون لها ويحث عليها زعماء القبائل بلا تردد في أغلب الجولات الحربية لأسباب الوطنية والسلطوية على حد سواء، وكانت العامة تهب مدفوعة بشعور قومي جارف لتلبية نداء القائد الثائر (للدفاع عن أرض الآباء والأجداد ضد الغزاة الأجانب) فتدفع ضريبة الدم المطلوبة- وبعد كل اقتطاع للمناطق يصبح السكان هدفاً للإجراءات الإرهابية والانتقامية للرومان، فقد كان الثوار وقود الحرب والولاء للوطن والقبيلة...

7. غنائم الأطراف من إجهاض نجاح الثورة النوميديّة.

كانت نتائج هذه الحرب وخيمة على المنطقة المغاربية إذ تم إلحاق المنطقة الممتدة من سرت الكبير إلى سرت الصغير (شمال غرب ليبيا) وأراضي مجردة الوسطى إلى الدولة الرومانية، فأصبحت حدود الأراضي الرومانية تمتد من Thabarca طبرقة على الساحل الغربي لتونس إلى Tacapae قابس مروراً بـ Bulla Regia حمام دراج أيضاً شريط الساحل بين أراضي سرت الكبير وقابس أي منطقة طرابلس.¹

كما مثلت تلك الهزيمة العسكرية للقبائل المتحالفة نكسة حقيقية كانت بمثابة النصر الذي امن للرومان الهدوء والسلام لبلاد المغرب القديم لمدة تزيد عن خمسين سنة (حتى بداية الحرب الأهلية الرومانية بين قيصر وبومبيوس 49-46 ق.م والتي كانت بلاد المغرب أحد أكبر مسارحها الحربية 47-46 ق.م استغلها الملك الموريطاني بوخوس في ضم إقليم مترامي الأطراف إلى مملكته الموريطانية وتنظيم البلاد إدارياً وعسكرياً وحتى اقتصادياً...)

ويعود السبب احتمالاً لإخفاق القبائل المحلية في هذه الفترة والفترات السابقة في تحقيق النصر الشامل على القوات الرومانية وطردها من المنطقة أن أحد الأسباب الرئيسية ذاتي محلي، فقد كان هؤلاء الزعماء مستعدين لحمل السلاح ضد بعضهم البعض مثلما هم مستعدون لحمل السلاح ضد روما، وفي الواقع قد اعتبروا الرومان في بعض الفترات حلفاء مفيدين لهم، فمثل ذلك نقطة الضعف التي تمكن الرومان من استغلالها لصالحهم.

8. نتائج ثورة النوميدي على المقاومة المغاربية مستقبلاً: تولد التيار الوطني المعادي للوجود الروماني نتيجة وجود أرضية ثقافية محلية اختلفت عن ثقافة روما، ذلك الاختلاف انبثقت منه المقاومة اليوغرطية للنموذج الروماني. وكان لمشكل الأرض مجالات القبائل الخاصة بمنتجاتها تعتبر أسباب أساسية للاصطدام بين النوميدي والرومان. ذلك الاصطدام أشبه ما يكون عبر نظرية المفكر ميكافلي "أن من يسيطر على الماضي... يسيطر على المستقبل".

ونعني بذلك المقاومة النوميديّة ليوغرطة سيطرت على الفكر الثوري والتمرد على الغازي لذلك حتما ستلقي بظلالها مستقبلاً على: ثورة الملك النوميدي يوبا الأول ضد طموحات يوليوس قيصر 49-46 ق.م. ثم ثورة قبائل المزالمة بزعامة تاكفاريناس 17 م-23 م. بعدها ثورة الموريين بقيادة أيدمون بالتزامن مع ثورة سيلابوس 40 م-42 م. واستمرارية مقاومة الجبليين من قبائل الكتل الجبلية لمناطق الاوراس، وجرجرة مع قبائل الحلف الخماسي، وقبائل الونشريس، وقبائل البوار وحتى الريف المغربية، ومقاومة القبائل السهبية البدوية المستمرة كقبائل الموزولامي والجيتول والوتولاي.. أو مقاومة قبائل المناطق الصحراوية والواحات (اغلب ثوارها من قبائل النسامونيس والجرامنت.. ناحية الشرق المغاربي.. يضاف إليها ثورات القرن الرابع ميلادي مثل ثورة الدوناتيين والدواوين وهي ثورة دينية اجتماعية 313 م. وثورة (تمرد) القائد فيرموس ضد السلطة المركزية بروما (370 م) وتحالف كثير من القبائل النوميديّة معه...

9. الأهداف الوطنية من دراسة التجربة الثورية اليوغرطية:

- استخلصت من هذه الدراسة عدد من الملاحظات المتنوعة والقيمة من التجربة النضالية في الثورة اليوغرطية لا يمكن فهمها في معزل عن التجارب العسكرية والسياسية عبر التاريخ ومنها:
- أن الإنسان يتعظ من تجاربه، والأهم من تاريخها وهو حال الثورة اليوغرطية التي نسخت لنا صورا بطولية وطنية من التاريخ المغربي.
 - تحول البطل يوغرطة من قائد مغربي إلى رمز عالمي متميز لشعوب عالم المتوسط القديم عنوانا للصمود والصلابة والشجاعة في مواجهة عتاة الاستعماريين آنذاك، ويشكل برهانا على انتصار إرادة شعب أمر ممكن إذا امتلك هذا الشعب الشروط الصحيحة لصراعه..
 - أن البطولة والإخلاص الذي ميز سيرة يوغرطة تحول إلى معادلة للتضحية والفداء الذي طبع بطل الثورة والمؤامرة التي ذهب ضحيتها من بعض مساعديه لا تعدو أن تكون قناعا ورمزا لتلك الاختلالات والأخطاء التي يذهب ضحيتها الوطنيون أثناء ثورات التحرير.
 - يمكن أن نتخذ من نضال الشعب النوميدي ضد الهيمنة الرومانية معادلا موضوعيا لنضال الشعوب المغربية في العصر الحديث ضد الاستعمار الفرنسي. وثورة يوغرطة ليس مسرحية تاريخية بالمفهوم الفني ولكنها تتخذ وقائع الماضي وأحداثه نقطة انطلاق لعلاج مشكلات الحاضر من خلال إسقاط الماضي على الحاضر إسقاطا تتداخل فيه الأحداث وتذوب فواصل زمن الماضي والحاضر.
 - كما أتيح للمواطن المغربي التعرف على كثير من الدروس اليوغرطية من خلال التعليقات والدراسات والترجمات على فترة احتدام المواجهة النوميديّة الرومانية، لكن تلك المعرفة اقتصرت معظم الأحيان على جوانب محددة مثيرة للاهتمام والإعجاب كالاتصارات العسكرية، وبقي جانب آخر من تلك التجربة مجهولا من قبل الكثيرين لم يحظ بما يستحق من الاهتمام، إلا عند قلة من المختصين والباحثين، ونقصد به التجربة التفاوضية بما شملته من اتصالات (سرية وعلنية) ومن مفاوضات (ثنائية ومتعددة الأطراف) ومن اتفاقيات (مؤقتة ومرحلية وجزئية) ومن مواجهات (ثنائية) والتي كانت في بعض المفاصل الصعبة أن كلفت يوغرطة حياته..
 - الهدف من دراسة الثورة النوميديّة اليوغرطية هو إعادة كتابة تاريخ المقاومة المغربية بأفضالها ونواقصها. ويتعلق الأمر هنا بمشروع وطني يجب ربطه بالضرورة بقضايا كبرى للتوعية كالتربية على المواطنة ومسألة الهوية، والحفاظ على قيم روح الوحدة الجغرافية والثقافية..
 - اعتمادنا على نصوص لاتينية لسالوستيوس¹ فقط صعب تأويلها ولم تساعدنا على حل مشاكل ومسائل تاريخية مطروحة بقدر ما عقدتها، ولا تتعرض لمشروع الوحدة التي جاء به يوغرطة، ولذلك فإن المعلومات التي تمدنا بها هذه النصوص ناقصة ومبتورة وأحيانا عائمة وغامضة بل ومتناقضة، إضافة إلى طريقة سردها للأحداث تجعلنا نعتقد أن روما نجحت نجاحا تاما في نوميديا والمنطقة المغربية.
 - تفسير آخر يجعل هذه الثورة حازما أمام المؤلفين الذين لم يستطيعوا التنقل مع جيش يوغرطة واستقاء الأخبار منه لما زرعه فيهم من خوف، وبالتالي فإذا كانت معلومات المصادر وفيرة بالنسبة للرومان فإنها تبقى على العكس شحيحة بالنسبة للجانب النوميدي، وفي

¹ لان إقامة سالوستيوس في إفريقيا لم تتجاوز عامًا ونصف وهي فترة لا تسمح له باكتساب معرفة تامة بالأماكن والأحداث التي وقعت في نوميديا. Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, tome, VII : la République romaine et les rois indigènes, Hachette, paris, 1928, pp 125-131 ; Callegarin L, L'Afrique de Salluste au travers du Bellum Iugurthinum, toulouse, mémoire de l'université de Toulouse, 1991 ; Tiffou E. Salluste et la géographie. Littérature gréco-romaine et géographie historique, 1974, p, 151-160.

كلا التفسيرين فان عامل الانتصار في النهاية يفرض نفسه على التدوين التاريخي بحدّة. فقدمت الثورة المغاربية على أنها نتاج عدوانية الإنسان المغاربي ونزعتة الفطرية للعنف وأعمال السلب والنهب والتخريب.

10. خاتمة:

وختاما نستنتج جملة من النتائج العامة ومنها:

- يعتبر يوغرطة شخصية تاريخية نوميديّة كبيرة وقائدا ثوريا محليا ضد الأطماع الاستعمارية.
- ظهرت مشاكل الأسرة الملكية النوميديّة بعد وفاة الملك ماسيسا وغذتها الأطماع الرومانية.
- ظهر مشروع تقسيم نوميديا بين الأخوة الملوك جليا ما قزم دور نوميديا كقوة في منطقة الشمال الإفريقي.
- محاولات يوغرطة توحيد المملكة من جديد نتج عنها حروب داخلية سرعان ما تطورت إلى حرب خارجية مع روما بشكل مباشر.
- روما تخسر الكثير من قوتها وجبروتها في حربها ضد يوغرطة الأمر الذي جعلها تغير إستراتيجية الحرب.
- أطماع ملك موريطانيا في التوسع جعله يوافق على مؤامرة القبض والإطاحة بيوغرطة.
- المؤامرة تنجح ويزج بيوغرطة للمحاكمة والانتقام منه بالقتل وتنتهي الثورة الكبرى مع بقاء جيوب للمقاومة سرعان ما خمدت.
- ملك موريطانيا يوسع مملكته شرقا والجزء المتبقي من نوميديا أشرفت عليه روما بشكل غير مباشر.
- هذه الثورة النوميديّة (112-105 ق.م) خلدت قائدها السياسي والعسكري يوغرطة عبر دفاتر التاريخ جيلا بعد جيل.
- ثورة يوغرطة لا زالت تلهم الثائرين ضد الظلم والطغيان والاستعمار إلى يومنا هذا.